

سقوط ريتشموند ومصير الخزانة الكونفدرالية 2 نيسان - 10 ايار 1865

حيدر شاكر خميس

الجامعة المستنصرية، كلية التربية

مستخلص البحث :

على الرغم من الارتباك الذي رافق الاداء الحكومي في يوم سقوط ريتشموند واخلائها ، فقد كان قرار الحكومة الكونفدرالية انفاق اموال خزينتها على اطعام الجنود العائدين من الحرب وعلى محاولة احياء قضية الجنوب في المنفى مستقبلا ، هو دليل لا ريب فيه على نزاهة رجالها ، وابتعادهم عن التفكير في البراغماتية الشخصية ، على الرغم من محاولات التشكيك بهم من قبل اعدائهم والصاق تهم الفساد التي لا تستند الى دليل، وعلى الرغم من كل الظروف الصعبة التي واجهتها الكونفدرالية الا ان حكومتها تشبثت بالأمل حتى الرمق الاخير ، ولم يقدم الرئيس ديفز على اتخاذ قرار تفكيك المشروع السياسي الكونفدرالي ، الا بعد نهاية كل حظوظها في مواصلة الجيش للقتال ، وعزوف قادته عن ذلك ، وبذلك اقترنت الهزيمة العسكرية بالفشل السياسي، لتعلن عن نهاية مأساوية لتجربة امتدت لأربع سنوات وثلاثة اشهر وستة ايام .

الكلمات المفتاحية : ريتشموند ، الكونفدرالية ، الحرب الاهلية الامريكية

The Fall of Richmond and the Fate of the Confederate treasury 2 April - 10 May 1865

Haider Shaker Khamis

Al-Mustansiriya University, College of Education

ABSTRACT

Despite the confusion that accompanied the government's performance on the day of Richmond's fall, the Confederate government's decision to spend its treasury money on feeding soldiers returning from the war and on trying to revive the cause of the South in exile in the future was an undeniable proof of the integrity of its men and their avoidance of thinking about personal pragmatism, despite attempts by their enemies to cast doubt on them and attach accusations of corruption that were not based on evidence. Despite all the difficult circumstances that the Confederacy faced, its government clung to hope until the last breath. President Davis did not make the decision to dismantle the Confederate political project until all its chances of the army continuing to fight had ended, and its leaders were reluctant to do so. Thus, military defeat was combined with political failure, announcing a tragic end to an experiment that lasted four years, three months, and six days.

Keywords: Richmond, Confederacy, American Civil War

توطئة تاريخية:

مع حلول منتصف القرن التاسع عشر، كانت الولايات المتحدة الامريكية تشهد مؤشرات واضحة على وجود انقسام سياسي واجتماعي بين شمالها وجنوبها حول نظام العبودية ، فبينما تمسكت به الولايات الجنوبية بوصفه يشكل الهيكل الرئيس للنظام الاقتصادي والاجتماعي فيها، انتقدته الولايات الشمالية بشدة ووصفته بأنه عملا غير اخلاقيا ، حتى تبلورت هذه المعارضة لتوحد جهودها في عام 1854 بتأسيس "الحزب الجمهوري" وهو الحزب الذي اخذ على عاتقه الحد من انتشار نظام العبودية في الولايات الشمالية. (ابراهيم، 1946، صفحة 134).

وعندما جاء موعد الانتخابات الرئاسية لعام 1860 كانت البلاد منشطرة على نفسها حول قضية العبودية، فاصبح فوز مرشح الحزب الجمهوري ابراهام لينكولن Abraham Lincoln بتلك الانتخابات التي جرت في 6 تشرين الثاني 1860 بمثابة الشرارة التي اشعلت البلاد واضافت المزيد من التوتر والاحتقان الى الجو السياسي العام وادت بالتالي الى قيام سبع ولايات جنوبية بإعلان انفصالها عن الاتحاد بشكل متتال في اواخر عام 1860 واول عام 1861، وهي كارولينا الجنوبية South Carolina في 20 كانون

الأول 1860، وميسيسيبي Mississippi في 9 كانون الثاني 1861، وفلوريدا Florida في 10 كانون الثاني، وألاباما Alabama في 11 كانون الثاني، وجورجيا Georgia في 19 كانون الثاني، ولوزيانا Louisiana في 26 كانون الثاني، وتكساس Texas في 1 شباط، ومن ثم اعلانها في مؤتمرها الذي عقدته في بلدة مونتغمري Montgomery بولاية الاباما في المدة بين 4-9 شباط 1861 عن الاتحاد فيما بينها باسم "الولايات الكونفدرالية الامريكية Confederate States of America"، وصياغة دستور مؤقت واختيار جيفرسون ديفز Jefferson Davis رئيساً مؤقتاً لها، وجاء في دستورها ان الابدولوجية السياسية لهذا الاتحاد الجديد قائمة على الدفاع عن حقوق الولايات التي تأتي في مقدمتها العبودية، وبعد شهرين على اعلان هذا الاتحاد الجديد اندلعت الحرب بينه وبين الولايات المتحدة الامريكية في 13 نيسان 1861. (شاكر، 2021، الصفحات 45-88).

اولا : اخلاء ريتشموند وانهايار الكونفدرالية:

كانت الحرب في بدايتها عامي 1861-1862 قد شهدت سجالات بين الطرفين مع تفوقا طفيفا للكونفدراليين، بيد ان هذا التفوق لم يدم طويلا، ومع حلول اوائل عام 1865 كانت المؤشرات واضحة باقتراب الانهيار العسكري للقوات الكونفدرالية (Wilson, 1955, p. 292).

منذ اتخاذها عاصمة للولايات الكونفدرالية في 29 ايار 1861، كانت ريتشموند هدفا رئيسا لقوات الولايات المتحدة الامريكية، فقامت حكومة واشنطن بسبع حملات عسكرية على المدينة لم تحقق هدفها، على الرغم من ان بعضها وصل الى مشارف المدينة واصبحت قريبة منها كما حصل في حملة شبه جزيرة فرجينيا اوائل عام 1862 (Coulter, 1947, p. 100)، ومع منتصف عام 1864 بدأت القوات الاتحادية تطبيق بحصارها على المدينة لحسم الحرب وانهايار الحكومة الكونفدرالية، وعند حلول عام 1865، برزت ظاهرة النقص الحاد في المؤن التي عانى منها الجيش الكونفدرالي، وتكررت نداءات القادة الميدانيين في الجيش الكونفدرالي لمعالجة الموقف لكن من دون جدوى، كما اصبحت مشكلة فرار الجند من ارض المعركة خارج السيطرة، حتى وصل الامر الى اختفاء ثلث عديد المقاتلين الكونفدراليين. (Bill, 1946, p. 112).

تجنبت القوات الاتحادية مهاجمة ريتشموند مباشرة، وعمدت الى محاولة السيطرة على بطرسبرغ التي تبعد عشرين ميلا جنوب العاصمة ريتشموند وتأتي معظم امدادتها منها، وبدأت قوات كبيرة من جيش الولايات المتحدة بقيادة اللواء فيليب شيردان Philip Sheridan بمهاجمة بطرسبرغ في 1 نيسان 1865 وبعد ظهر ذلك اليوم نجحت في كسر الطوق الدفاعي الكونفدرالي والوصول الى منطقة فايف فوركس Five Forks وهي تقاطع رئيسي يقع على بعد 25 ميلا غرب بطرسبرغ، وفيها السكة الحديدية التي تشكل اخر طرق الامداد العسكري الى ريتشموند، وهو الامر الذي ادى الى جعل الطريق سالكا اليها، وعلى ذلك ايقن اللواء روبرت قرب الهزيمة، وبعث برقية سرية مستعجلة الى الرئيس ديفز تحته على اخلاء العاصمة ريتشموند ومغادرتها خلال ساعات قبل وصول العدو لها. (Davis, 1881, p. 657).

وصلت البرقية الى الرئيس جيفرسون ديفز في صباح يوم 2 نيسان عندما كان يحضر احتفالا دينيا في كنيسة القديس بولص الاسقفية في وسط العاصمة ريتشموند، وما ان قرأها حتى غادر الكنيسة على نحو سريع ومضطرب، ليعقد اجتماع طارئ مع حاكم ولاية فرجينيا وعمدة مدينة ريتشموند ابلاغهم فيه بقرار الاخلاء (Katcher, 2007, p. 192)، اعقبه اجتماع طارئ اخر في مكتبه مع مجلس الوزراء تم فيه إبلاغ الوزراء باتخاذ الخطوات الاخيرة اللازمة لمغادرة المدينة بسرعة، وضرورة تدمير جميع المواد والوثائق التي لا يمكنهم حملها وتعبئة خزانة الاموال والسندات والوثائق الضرورية وارسالها الى محطة قطار دانفيل، مع الابقاء فقط على وزير الحربية جون بريكنريدج في المدينة للأشراف على تدمير سكة حديد مانشستر Manchester وجسر نهر جيمس لمحاولة تأخير القوات الاتحادية عن مطاردة المغادرين (Harrison, 1883, p. 130).

تسربت فحوى البرقية بسرعة بين السكان بواسطة الخدم العاملين في قصر الرئيس، وعلى الرغم من ان البعض في بداية الامر لم يتعامل معها بجدية معتقدين انها اشاعة عابرة من اشاعات الحرب، الا ان بعد ذلك بقليل بدت مظاهر الاخلاء واضحة في المدينة، وابرزها قيام عربات كثيرة بإخراج اشراف الحكومة الى الشوارع تمهيدا لنقله جنوبا الى دانفيل Danville، ولم يمض وقت طويل من ذلك اليوم حتى قرر الكثير من السكان اخلاء المدينة والهروب مع الحكومة، فكانت الشوارع مليئة بالحشود المتحمسة مع حملاتها

الضخمة التي تسرع الى طرق النقل المختلفة ، وبالتالي سادت الفوضى وتكدست العربات والحمولات في معظم شوارع العاصمة (Wise, 1899, p. 440).

مع حلول الغروب اجتمع المجلس البلدي لريتشموند وامر بإتلاف جميع المشروبات الكحولية للمحافظة على الامن العام وتجنب المزيد من المشاكل الناتجة عن تناولها ، فضلا عن منع جنود الاتحاد من تناولها وبالتالي قد يدفعهم ذلك الى القيام بأفعال انتقامية من سكان العاصمة ، وكانت الاستجابة لهذا الامر سريعة عندما ملأت المشروبات الكحولية المسكوبة شوارع ريتشموند، وانتشرت رائحتها في كل اجواء المدينة ، وعند منتصف الليل هرب الحراس المسؤولين عن سجن الولاية من مواقعهم ، وبالتالي اصبح السجناء احرار طلقاء يجوبون شوارع المدينة مما احدث حالة ذعر كبيرة لدى السكان الذين امضوا ليلة ليلاء في ذلك اليوم (Ryan, 2001, p. 56).

بعد ذلك حدث التحول الاكثر رعبا ، عندما امر عمدة المدينة جوزيف مايو بتدمير مستودعات العتاد الاربعة الرئيسية في المدينة ، وعلى الرغم من معارضة السكان لهذا الامر الا ان مايو كان مصرا على تنفيذه ، وعندما بزغ ضياء الفجر الاول كانت الانفجارات تهز ارجاء المدينة ، ثم ما لبثت ان بدأت الحرائق تنتشر في مناطق عديدة من العاصمة ، والتهمت الحرائق قلب المدينة بالكامل ، اذ شملت الجزء التجاري من المدينة ابتداءً من مستودع شوكو Shockoe إلى المخزن رقم 77 في الشارع الرئيسي ، جنوبا الى منتصف الطريق بين الشارع الرابع عشر والخامس عشر ، وامتدت إلى النهر عبر شارع كاري وجميع الشوارع المتوسطة، غربا الى مستودع ماين Mine في الشارع التاسع ، وصولا إلى نهر جيمس ، شمالا من مستودع ماين مروراً بالشارعين الثالث عشر والرابع عشر حتى مصرف ولاية فرجينيا في الشارع الثامن (Lankford, 2001, p. 77) .

كانت من أبرز المباني المحترقة مصرف ريتشموند ، ومصرف التجار ، ومصرف الكومنولث ، ومصرف فيرجينيا ، ومصرف المزارعين ، وجميع بيوت المصارف ، والفندق الأمريكي ، والفندق الكولومبي في الشارع الثاني عشر ، ومكتب الإرسال ومصرف التجارة في زاوية الشارع الثالث عشر ، وكل تلك الكتلة من المباني المعروفة باسم بيلفين بلوك Belvin's Block ، ومعمل المحركات والآلات ، ومبنى محكمة الولاية ، ومبنى إدارة مكتب البريد الكونغرس ، والمبنى القديم في ساحة الكابيتول عند مدخل شارع فرانكلين ، والمعهد الميكانيكي ، وكافة المباني في تلك الساحة حتى الشارع الثامن ، والترسانة الكونغرس ، والمختبر العسكري في الشارع السابع (Ryan, 2001, p. 56) .

انتشرت النيران بسرعة مربعة ومعها تتحرك حشود اللصوص وسط دخانها الكثيف، وعلى الرغم من ذلك اندفعت اعداد كبيرة من السكان نحو المخازن التجارية للأغذية واقتحموها ليجدوها مليئة بالأغذية والادوية والمشروبات الكحولية ، مما جعل الاستياء الشعبي يتزايد على التجار المضاربين، واصبحت الشوارع مكتظة بالأثاث والمواد الغذائية ، اذ اصبح كل شيء متاحا امام الحشود البشرية التي كانت مشغولة بنهب ونقل البضائع، وبحلول الساعة السادسة من صباح 3 نيسان تقدم عمدة المدينة جوزيف مايو الى القوة المحاصرة للمدينة بقيادة اللواء غودفري ويتزل Godfrey Weitzel وعلن له عن استسلام ريتشموند من خلال رسالة سلمها له تنص على " الى القائد العام لجيش الولايات المتحدة الامريكية ، اعلن لك عن استسلام ريتشموند ، واطلب منك ان يتم السيطرة عليها باحترام ونظام وتحافظ على سلامة النساء والاطفال والممتلكات العامة " (Ryan, 2001, p. 70).

دخلت اولى قطعات جيش الولايات المتحدة الى ريتشموند في الساعة 6:55 وكانت من سلاح فرسان ماساتشوستس الرابع بقيادة الرائد اثيرتون هوغ ستيفن Stephens Atherton Haugh ومساعدته الرائد ايمونس ي. غرافس Emmons E.Graves ومعهم اربعون من الفرسان وتوجهوا مباشرة نحو مبنى الكابيتول وقاموا بإنزال علم الكونغرس من فوقه ورفع علم الولايات المتحدة الامريكية بدلا عنه، وبمرور الوقت بدأت القوات الاتحادية تتدفق تباعا الى المدينة ، حتى غصت الشوارع بإلاف منهم ، وكان ابرز ما يلاحظ هو مجموعة الفرسان السود الذين استقبلوا بحفاوة كبيرة من نظرائهم المحليين وكانوا يحتفلون بتريد انشودة " جسد جون براون تحت الثرى ، وروحه تسير دوما نحو الامام " (Davis W. C., 2001, p. 424) .

وصل اللواء غودفري ويتزل على رأس قوات كبيرة الى مبنى الكابيتول في الساعة الثامنة من صباح 3 نيسان ، و في الثامنة والربع جرت مراسم استسلام شكلية في القاعة الرئيسية للمبنى بينه وبين عمدة المدينة جوزيف مايو، ثم ارسل في اليوم التالي برقية الى وزارة الحربية الامريكية نصت على " استولينا على ريتشموند في الساعة 8:15 من صباح الامس، لقد صادرننا العديد من

الأسلحة وغادر العدو بسرعة كبيرة، المدينة مشتتة في موقعين، أنا أعمل بكل جهد ممكن للسيطرة عليها ، اما عن المشاعر فقد استقبلنا الناس بعبارات الفرح والحماس (Ryan, 2001, p. 70) .

تم تعيين اللواء جورج فوستر شيبلي George Foster Shepley حاكما عسكريا على ريتشموند في الساعة الواحدة ظهرا من يوم 3 نيسان ، وكان اول قرار يصدره هو أمراً بحماية المواطنين من الإهانة والنهب من قبل الجنود الاتحاديين ، وتضمن أيضاً فترة حساسة تمنع الجنود من القيام اهانة العلم الكونفدرالي او السخرية والانتقاص منه ، لما فيها من اثاره لخطر السكان المحليين. (Ryan, 2001, p. 73).

ثانيا : مصير الخزنة الكونفدرالية:

تعد حادثة اختفاء الخزنة الكونفدرالية من المواضيع التي احدثت جدلا كبيرا وسيلا من التكهات حول مصيرها ، لا سيما ان الاعلام السياسي للولايات المتحدة الامريكية روج لهذه القضية في اعقاب سقوط ريتشموند ، وعمد الى تضخيم الارقام المفقودة بشكل كبير ، ويبدو انه كان يهدف من ذلك الى محاولة تحفيز القوات الاتحادية من اجل القاء القبض على رجال الحكومة الكونفدرالية. (Davis W. C., 2001, p. 424).

بدأت مقدمات القضية عندما جرى اخلاء العاصمة ريتشموند بسرعة بعد ظهر اليوم الثاني نيسان 1865، وعهدت عملية نقل الخزنة الكونفدرالية الى مسؤول الرواتب في الاكاديمية البحرية النقيب وليم باركر William Parker الذي استعان بـ 60 جنديا جاء بهم من سفينة "باتريك هنري Patrick Henry" الراسية في نهر جيمس لإتمام عملية شحن الاموال في عربة القطار المتجهة الى دانفيل، التي اكنمت بصعوبة في ظل الحرائق التي اشتعلت في المدينة والفوضى التي عمت في ذلك اليوم ، ويصف باركر في مذكراته ذلك المشهد " كان القطار معبئا ليس فقط في الداخل ، ولكن في الأعلى ، على المنصات ، على المحرك ، في كل مكان ، في الواقع كان لا يمكن العثور على مكان للوقوف، كانت الحرائق تندلع من كل اتجاه ، وجعلت الأمر يبدو وكأن باب الجحيم قد فتح علينا". (Parker, 1989, p. 30) .

غادر ريتشموند في ليلة 2 نيسان قطاران متجهان الى دانفيل، حمل الاول رجال الحكومة الكونفدرالية ، وحمل الثاني الخزنة الكونفدرالية التي لا يمكن بشكل دقيق معرفة حجم الاموال التي كانت فيها ، الا انها وفقا للتقديرات المبدئية كانت تحتوي على ما لا يزيد عن 500 الف دولار من العملات الذهبية والفضية والنحاسية والسبائك ، الجزء الأكبر منها والاثقل وزنا هي الدولارات الفضية المكسيكية المعبأة في براميل ، بينما وضعت الدولارات الذهبية في أكياس بقيمة 5000 دولار لكل منهما او صناديق عملة عادية بواقع 2500 دولار في كل صندوق، فضلا عن سبائك الذهب والشذرات والكثير من السنتات النحاسية ، وما قيمته 600-700 مليون دولار من أوراق النقد الكونفدرالية المطبوعة محليا ، والملايين في القيمة الاسمية للنقود الورقية والسندات الكونفدرالية ، وحزمة من الاموال البريطانية تقدر بما يقارب 16000-18000 جنيه إسترليني ، وصندوق كبير من المجوهرات الفضية التي تبرعت بها نساء الكونفدرالية من أجل ادامة المجوهر الحربي ، فضلا عن وثائق حكومية ، و 450 الف دولار من الاموال الخاصة التي تشكل أصول ستة مصارف في ريتشموند. (Davis W. C., 2001, p. 426)

ان هذ المبلغ الإجمالي للعملة الصعبة للخزنة الكونفدرالية قد يبدو صغيراً بالنسبة لخزنة وطنية ، لكن هذا الشك سرعان ما يتبدد اذا ما ادركنا أن الكونفدرالية كانت تعاني في الناحية الاقتصادية الى درجة قريبة من الانهيار ، بسبب تكاليف الحرب الباهظة ، والخسائر المستمرة للموارد الاقتصادية التي احدثتها قوات الاتحاد ، والحصار البحري الناجح للاتحاد الذي استنزف الخزنة الكونفدرالية بحلول عام 1865. (Ballard, 1986, p. 108)

وصل قطار الخزنة الى دانفيل بعد القطار الذي يقل رجال الحكومة بوقت قصير ، وتم نقل 50 برميل من النقود الفضية الاسبانية التي حصلت عليها الحكومة الكونفدرالية من بيع القطن الى المكسيك الى مصرف دانفيل لأسباب غير محددة ، فيما ظلت الوثائق والسندات تحت الحراسة في عربة القطار ، ثم ما لبثوا ان اعادوا عشرة منها الى العربة ، وكان مسؤولي الخزنة يدفعون دولارا واحداً من العملة الفضية مقابل 70 دولارا في النقود الورقية ، واستخدم برميل واحد لذلك ، غير انه لا توجد سجلات لإجمالي المبالغ المدفوعة. (Duke, 1894, p. 137)

بعد انقطاع الاخبار من قوات اللواء روبرت لي تصاعد القلق لدى المسؤولين الكونفدراليين على سلامة الخزانة ، وقرروا في 6 نيسان ارسالها الى تشارلوت ، وقبل مغادرتها قام مدير مصرف دانفيل والتر فيلبروك Walter Philbrook بعمل إحصاء لسبائك و عملات الخزانة المتبقية وكانت 327,90,022 دولارًا (Cooper, 2000, p. 237) ، بيد ان هذه الاحصائية لم تكن تشمل براميل الفضة التسعة والثلاثين التي تركت في دانفيل بسبب ثقل حجمها وصعوبة نقلها الى تشارلوت ، لكن تم اخراجها من المصرف ودفنها في مكان قريب من مقبرة البلدة ، حيث تركت لجيش اللواء روبرت لي الذي كان يشق طريقه الى هناك ، وكانت قيمتها 156 الف دولار بواقع 4 الاف دولار لكل برميل، وحدث اختفائها فيما بعد المزيد من التكهّنات حول مصيرها وحقيقة وجودها⁽¹⁾.

بعد توقف قصير في محطة غرينزبورو وصرف مبلغ 39 الف دولار رواتب لجيش اللواء جونستون ، وصل قطار الخزانة الى تشارلوت في 8 نيسان ، وادعت حملته في مصرف البلدة ، وحاول النقيب باركر الاتصال بالحكومة الكونفدرالية في دانفيل لاستلام الاوامر منها لكن خطوط التلغراف كانت معطلة ، وبعد انتظار دام ثلاثة ايام في تشارلوت وردت انباء قطع القوات الاتحادية لطريق سالزبوري Salisbury وبذلك اصبح الاتصال بالحكومة في دانفيل مستحيلا ، فاضطر الى استخدام صلاحياته والتوجه جنوبا نحو بلدة ماكون في ولاية جورجيا، بعد ان حصل بجهوده الخاصة على 90 جنديا اضافيا من رجال الاكاديمية البحرية في بورتسموث Portsmouth ليصبح عدد الحراس الذين تحت امرته 150 مقاتلا، انطلق اليها في يوم 11 نيسان فدخل اراضي ولاية كارولينا الجنوبية وقضى يوم 12 نيسان في محطة تشيستر Chester ويوم 14 نيسان في محطة نيويورك Newberry ، ثم استقل القطار الى ابفيل ووصلها في 16 نيسان (Wise, 1899, p. 209)، ويصف النقيب باركر تلك الرحلة الشاقة "عند ظهر ذلك اليوم وصلنا بعد مسيرة مدتها خمسة ايام". لقد سرنا بسرعة ، حيث كنا نفترض أن سلاح الفرسان الاتحادي يلاحقنا ، اعتقدنا في ذلك الوقت أنه سيحصل على أخبار الكنز في شارلوت ويتبعنا.. لذلك تركت حراسا خلفيين عند كل جسر عبرناه ، لأكون جاهزا لحرقه إذا لزم الأمر، اعتقدنا في ذلك الوقت أنه سيحصل على أخبار الكنز في تشارلوت ". (Parker, 1899, p. 301).

بينما يذكر والتر فيلبروك ، انه تم إجراء العديد من التوقيعات أثناء الرحلة ، وتم دفع مبالغ لمندوبي المفوضين وغيرهم من الضباط بمبالغ تتراوح بين 200 - 400 دولار ، كانت في مجملها لأجل شراء الطعام للحراس، والأعلاف للخيول، مع إعطاء قسائم غير رسمية بالضرورة بها ، وأظهر الجند العائدين من المعركة قدر كبير من الالتزام والسلوك المنضبط تجاه الاموال ، اذ على الرغم من حاجتهم للأموال والطعام لم تكن هناك غارة على الإطلاق على القطار خلال رحلته الطويلة ، على الرغم من أن المحتويات كانت معروفة جيدا على طول الخط ، بل ان المبلغ كان مبالغ فيه كثيرا، اذ كان الاعتقاد السائد بشكل عام ، أن القطار يحمل اكثر من عشرة ملايين دولار. (Davis W. C., 2001, p. 429)

استأنف النقيب باركر رحلته من ابفيل وبعد ان قطع 40 ميلا وعبر نهر سافانا بواسطة جسر عائم وصل الى بلدة واشنطن في ولاية جورجيا في 17 نيسان ، لكنه سرعان ما علم باستيلاء قوات الاتحاد على هدفه الاصلي بلدة ماكون ، فعاد وشحن الخزانة على عربات السكة الحديدية المتجهة الى بلدة اوغوستا Augusta، التي وصلها في 18 نيسان وسرعان ما اكتشف انها مهددة بالسقوط في ايدي قوات الاتحاد ، فعاد ادراجها الى بلدة واشنطن ، التي وصلها في 23 نيسان وتم تفريغ الخزانة في مبنى سابق لمصرف ولاية جورجيا في وسطها بأمر من القاضي وليم وود كرومب William Wood Crump مساعد وزير الخزانة الكونفدرالي. (Harrison, 1883, p. 255)

اثاء وجوده في واشنطن تم ابلاغ النقيب باركر بان موكب الحكومة الكونفدرالية في طريقه الى ابفيل ، فتوجه اليها على نحو السرعة ووصلها في يوم 28 نيسان ووصلها في اليوم التالي ، وقام بتفريغ الخزانة في مستودع يقع في ساحة البلدة العامة ، وامر بتشديد الحراسة عليها بسبب امتلاء البلدة بجنود اللواء جونستون العائدين الى منازلهم بعد استسلامهم لقوات الاتحاد في 26 نيسان ، وكثيراً ما وجه هؤلاء الرجال تهديدات للاستيلاء على الأموال ، لكنهم تلقوا دائماً ردود حازمة من الحراس. (Duke, 1894, p. 139)

(¹) يعتقد الكثير من المؤرخين برواية مفادها أن براميل الفضة المكسيكية التسعة والثلاثين دفنت تحت ارض أصبحت الآن مقبرة في دانفيل، ولم يتم استردادها أبداً، ويدعي الباحثون عن الكنوز في العصر الحديث أن لديهم أدلة من خلال استخدامهم معدات إلكترونية متطورة ، بان هذه الارض توجد فيها كمية كبيرة من المعادن هناك ، لكن المسؤولين المحليين في مدينة دانفيل يرفضون حتى الآن السماح للمختصين بالبحث عنها. ينظر: (Davis, An Honorable Defeat, P.429)

عند وصول الرئيس ديفز الى اببيل في 2 ايار قام مباشرة ببعض الاجراءات تمثلت بقبول استقالة وزير البحرية ستيفن مالوري وحل فريق الحراسة المكلف بحماية الخزنة منها رحلتهم التي استمرت 30 يوما ، وبذلك انتهت مهمة النقيب باركر الذي سلم الخزنة لوزير البحرية بريكنريدج والحرس الرئاسي المؤلف من خمس الوية قوامها 400 مقاتل وعاد الى سكنه في بلدة نورفولك بولاية فرجينيا، بينما كانت مهمة القائم بأعمال وزارة الخزنة قد انيطت منذ 26 نيسان لمدير البريد جون ريغان بدلا من الوزير المريض جورج ترينيهولم. (Harrison, 1883, p. 255)

امر الوزير بريكنريدج بتحميل الخزنة في عربات استعدادا لعبور نهر سافانا والتوجه نحو بلدة واشنطن ، وبعد عبور النهر في 3 ايار خيمت العربات في منزل السيدة المتعاطفة مع الكونفدرالية ج. د. موس J.D. Moss، حيث اندلع عصيان في الحرس الرئاسي عندما ارتفعت اصوات بعض الفرسان للمطالبة بأجورهم وأنهم لن يتلقوا أيًا منها إذا استولت القوات الاتحادية على الخزنة، ولم يكن لدى الوزير بريكنريدج مع خشيته من حدوث تمرد كبير على الحكومة ، خيار سوى الموافقة على أن يدفع لهم ما مقداره 108,322 دولارًا ، بواقع ما يقارب 26,25 دولارًا لكل منهم ، على الرغم من أنه لم يكن لديه السلطة للقيام بذلك، في ظل وجود وزير الخزنة بالوكالة. (Duke, 1894, p. 165)

تمخض اجتماع الرئيس ديفز مع مجموعة من الضباط في صباح يوم 4 ايار عن قرار مصيري وهو حل الحكومة الكونفدرالية ، ومجموعة من القرارات الأخرى المهمة ، اذ امر الرائد رافائيل موسيس بإنفاق 40 ألف دولار من اموال الخزنة في محطة سكة حديد أوغستا من اجل اطعام الجنود العائدين من الحرب الى منازلهم⁽²⁾ ، ثم قرر بعد الاجتماع تعيين النقيب ميكاجا كلارك Micajah Clark قائما بأعمال أمين الصندوق لرعاية ما تبقى من الخزنة الكونفدرالية ، وكان هذا اخر قرار يوقعه في مدة رئاسته، وغادر واشنطن متجهًا جنوبًا باتجاه حدود فلوريدا مع مرافقة من عدد قليل من الضباط. (Duke, 1894, p. 166)

بدأ ديفز يفكر لما بعد الهزيمة ، اذ يبدو أنه بعد قراره حل الكونفدرالية رسميًا ، ومحاولته اليائسة للهروب من قوات الاتحاد ، ادرك انه وصل الى طريق مسدود ، لذلك حاول العمل على تأمين احياء الكونفدرالية في أوروبا في المستقبل، وتحقيقا لهذه الغاية ، امر النقيب كلارك بتسليم 86 ألف دولار الى ضابط البحرية المقدم جيمس سمبل James Semple ومساعدته الرائد إدوارد تيدبول Edward Tidball، وإخفاء المبلغ في الجزء السفلي الزائف من عربة ونقلها إلى تشارلستون أو سافانا، ومن هناك كان تشحن إلى جزر برمودا أو ناسو ، ومن ثم إلى ليفربول في انكلترا لإيداعه في حساب الكونفدرالية ، والتصرف بها من قبل " شركة فريزر- ترينيهولم Fraser Trenholm & Company" التي يملكها وزير الخزنة الكونفدرالي جورج ترينيهولم ، غير ان ذلك لم يحصل ، وكان هذا هو الجزء الوحيد الذي ثبتت فيما بعد سرقة من الخزنة الكونفدرالية.⁽³⁾

(2) تم تحويل 10 الاف دولار فقط من هذا المبلغ إلى فيليكس ألكسندر Felix R. Alexander مدير قسم التموين في جيش اللواء ألكسندر ر. لوتون Alexander R. Lawton الم رابط قرب ولاية جورجيا ، اما الـ 30 ألف دولار المتبقية دولار المتبقية فقد حملها الرائد موسيس الى أوغستا في ظل صعوبات كبيرة وسلمها إلى اللواء إدوارد مولينوكس Edward Molineux، الضابط الاتحادي المسؤول عن أوغستا في ذلك الوقت، بناء على وعده بإطعام الجنود الكونفدراليين العائدين ورعاية المرضى في المستشفيات، لكن ذلك لم يحصل اطلاقا. ينظر: John S. Wise, 1984,P.455).

(3) وفقًا لما ذكره المؤلفين ويسلي ميلت Wesely Millet وجيرالد وايت Gerald White ، نجح سمبل وتيدبول في تمرير شحناتهم المخفية من الاموال الى أوغستا، حيث التقوا هناك مع ويليام هاو William Howell شقيق فارينا ديفيس (زوجة الرئيس) ، الذي كان يعمل مع سمبل بصفة وكيل شراء مدني للبحرية الكونفدرالية ، وقرروا تجاهل امر الرئيس وتقسيم الاموال فيما بينهم ، اذ حصل تيدبول على 27000 دولار ، وهاو على 25000 دولار ، وسمبل على 34000 دولار، ثم تفرقوا في طرق مختلفة ، تمكن تيدبول من النفاذ بأمان إلى وينشستر Winchester بولاية فرجينيا ، وفي عام 1867 اشترى أرضًا وبنى مزرعة هناك ، في حين انتقل هويل من أوغستا إلى كندا وأخذ معه والدته وأطفال فارينا ديفيس، واستخدم الاموال لدعم عائلته وبدء عمل جديد هناك ، بينما وزع سمبل حصته وتركها في رعاية أصدقاء موثوق بهم في سافانا بولاية جورجيا وسافر متخفيا لجهة مجهولة لعدة أشهر لتجنب الاعتقال ، ويبدو انه شعر بتأنيب الضمير في النهاية فبدأ باستخدام الاموال لمتابعة خطة يائسة لمساعدة الجنوب ، وهي جذب الولايات المتحدة إلى حرب مع بريطانيا، اذ اعتقد سمبل في الحرب أن الشمال سيحتاج إلى الجنوب ، وبالتالي سيسطر إلى التخلي الشروط القاسية لإعادة الإعمار، لكنه فشل في مسعاه ، وانفق ما تبقى من الاموال لعشيقته جوليا غاردينر تايلور Julia Gardiner Tyler (أرملة الرئيس الأمريكي العاشر جون تايلور) واستقر بعد ذلك معها في فرجينيا حتى وفاته في عام 1883. ينظر: Millet (and White,2008,P.107).

كان على النقيب كلارك اللحاق بديفز بعد إجراء المدفوعات النهائية للخزانة في واشنطن، وهي 56,116 دولارًا لأعضاء الحكومة والضباط والجنود وغيرهم ممن تجمعوا هناك لحماية الرئيس، ومبلغ 2600 دولار أخرى هي قيمة مصروفات متنوعة لم يتم الإبلاغ عنها. (Duke, 1894, p. 166)

في تلك الأثناء، كانت القوات الاتحادية على مشارف بلدة واشنطن، فأصبحت ساحة البلدة في ذلك المساء مسرحًا لحريق عندما أقدم الوزير بريكينريدج على إشعال النار في ما يقارب 600-700 مليون دولار ورقية مطبوعة محليا لم تعد ذات قيمة مع سقوط الحكومة الكونفدرالية، فيما نقلت بقية الخزانة إلى منزل الرائد رافائيل موسيس وصادرتها القوات الاتحادية عندما اجتاحت بلدة واشنطن في مساء يوم 5 أيار، وهي صندوق المجوهرات الفضية، ومبلغ 40 ألف دولار الذي خصص لشراء الطعام للجنود العائدين إلى أوغستا، ووثائق الخزانة، وحزمة الأموال البريطانية التي تقدر بين 16000-18000 جنيه استرليني، وأموال خاصة تشكل أصول مصارف ريتشموند الستة البالغة 450 ألف دولار، التي تعرضت للسرقة فيما بعد أثناء نقلها من قبل القوات الاتحادية إلى يذكر النقيب كلارك تلك الساعات الأخيرة في بلدة واشنطن: "لقد ساد انطباع لدى البعض في ذلك اليوم الأخير من المعنويات الهابطة والارتباك والذعر، على الرغم من أن الجنود كانوا منظمين، وعلى الرغم من أن المدينة كانت مليئة بالرجال تحت قيادة جيدة، لم يكن هناك أعمال شغب أو عنف... بدا لي كما لو كان شيئًا كئيبيًا قائمًا معلقًا في الجو يقيم التعبير النشط. الناس أدركوا أن الحكومة التي كانت قوية تنتهي الآن، متخلية عن كل آمالهم ورغباتهم، و تموت أمام أعينهم... عذابًا كبيرًا ومرارة يأس يكاد يملأ كل القلوب، ركبت الظلام في تلك الليلة، كما لو كنت متوجها إلى فراش الموت". (Davis W. C., 2001, p. 429).

لم يمض وقت طويل بعد تفريق أموال الخزانة في بلدة واشنطن حتى وصل النقيب كلارك مع الرئيس ديفز في مساء يوم 7 أيار إلى ساندرفيل وقرر الأخير التخلي عن بعض الحاشية مرة أخرى، قبل أن يواصل رحلته إلى الجنوب، فأرسل النقيب كلارك والعربات البطيئة الحركة التي تحتوي على أمتعته في مسار جنوبي غربي نحو بلدة ماديسون في ولاية فلوريدا، حيث اتفق الطرفان أن يلتقيان، وخصص 35000 دولار للرئيس الذي طلب من كلارك أن يحملها معه إلى فلوريدا⁽⁴⁾، ودفع النقيب كلارك 9,840 دولارًا كانت نفقات الضباط الذين رافقوا الرئيس، كما أعطى 3500 دولار لمدير البريد ريغان، وعندما قبضت القوات الاتحادية على ديفز في فجر يوم 10 أيار، لم تجد لديه سوى بضعة دولارات، بينما صادرت من مدير البريد ريغان 3500 دولار وأموال شخصية أخرى تقدر بـ 2000 دولار. (Duke, 1894, p. 177).

استمرت الشائعات والاتهامات الاتحادية تطارد القادة الكونفدراليين لمدة طويلة من الزمن، وروجت عن عشرات الملايين من الدولارات المفقودة التي اختفت في تلك الأيام، ولكن النقيب كلارك رد على تلك الاتهامات بقوله: "لم يخرج الكونفدراليين القدامى بأي شيء من الحرب، باستثناء الشرف في سبيل الله، وذاكرة الموتى الثمينة، دعونا نحافظ على ذلك من دون تلويث، وندافع عنه من تلك الافتراءات والتلميحات القذرة". (Davis W., 2001, صفحة 429).

هكذا، خسرت الكونفدرالية الحرب، وبدأت ولاياتها الأولى عشرة مرحلة جديدة بعد الحرب، خضعت خلالها للحكم العسكري سميت مرحلة "إعادة الإعمار السياسي Reconstruction"، واستمرت حتى عام 1877، أجبرت فيها على الموافقة على التعديلات الدستورية الثلاثة المتعلقة بقضية إنهاء العبودية، الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر⁽⁵⁾، من أجل السماح لها بالعودة إلى الاتحاد مرة أخرى. (وعيد، 2022، الصفحات 41-77).

(4) وأصل النقيب كلارك ومجموعته طريقهم نحو فلوريدا، وفي 22 أيار مروا في غرب غينسفيل Gainesville في فلوريدا، ووصلوا في ذلك اليوم إلى مزرعة يمتلكها عضو مجلس الشيوخ ديفيد ليفي David Levy= صديق الرئيس ديفز وعندما علموا منه بإلقاء القبض عليه أدركوا أن قضيتهم ضاعت، واتفقوا على تقسيم أموال الخزانة المتبقية، فتلقى كل منهم 1,995 دولارًا، وخصصوا 6,790 لزوجته الرئيس وأولاده، أما أمتعة ديفز فقد تم إخفائها لدى وكيل للسكك الحديدية في بلدة والدو Waldo، واستولت عليها القوات الاتحادية في 15 حزيران 1865. ينظر: (Alfred Jackson Hana, p.123)

(5) نص التعديل الثالث عشر الذي تمت المصادقة عليه في عام 1865 على إنهاء العبودية في كافة الأراضي الأمريكية، بينما نص التعديل الرابع عشر الذي تمت المصادقة عليه في عام 1868 على السماح للسود بالتصويت في الانتخابات التشريعية الاتحادية والمحلية، فيما نص التعديل الخامس عشر الذي تمت المصادقة عليه في عام 1870 على منح السود حق الاقتراع والتصويت في الانتخابات التشريعية والرئاسية وجميع حقوق المواطنة الأمريكية. ينظر: (Coutler, 1947, pp.154-176).

الخاتمة :

انصب التفوق العددي في الموارد البشرية والاقتصادية والقدرات الصناعية لصالح الولايات المتحدة الأمريكية ، فضلا عن الحصار البحري الذي فرضته الأخيرة على الولايات الكونفدرالية ، والازمات الداخلية التي عانت منها الأخيرة ، كلها عوامل جعلت من هزيمتها امرا حتميا ، اذ ان منذ منتصف عام 1864 اصبحت الولايات المتحدة كأنها تقاتل الكونفدرالية بيد واحدة تاركة اليد الأخرى خلف ظهرها ، وكل ما كان باستطاعة حكومة الولايات الكونفدرالية هو تأخير سقوط ريتشموند وليس منع حصوله .

اثبت الارتباك الذي رافق الاداء الحكومي في يوم سقوط ريتشموند ضعف الاستعدادات والتدابير الكافية لحدث كان متوقعا ، وافقتار الحكومة الكونفدرالية الى الحكمة السياسية الكافية للتعامل مع ذلك الحدث .

ان قرار الحكومة الكونفدرالية انفاق اموال خزينتها على اطعام الجنود العائدين من الحرب وعلى محاولة احياء قضية الجنوب في المنفى مستقبلا ، هو دليل لا ريب فيه على نزاهة رجالها ، وابتعادهم عن التفكير في البراغمية الشخصية ، على الرغم من محاولات التشكيك بهم من قبل اعدائهم والصاق تهم الفساد التي لا تستند الى دليل .

وعلى الرغم من كل الظروف الصعبة التي واجهتها الكونفدرالية الا ان حكومتها تشبثت بالأمل حتى الرمح الأخير ، ولم يقدم الرئيس ديفز على اتخاذ قرار تفكيك المشروع السياسي الكونفدرالي ، الا بعد نهاية كل حظوظها في مواصلة الجيش للقتال ، وعزوف قادته عن ذلك ، وبذلك اقترنت الهزيمة العسكرية بالفشل السياسي ، لتعلن عن نهاية مأساوية لتجربة امتدت لأربع سنوات وثلاثة اشهر وستة ايام .

قائمة المصادر :

مهدي ، محمد وعيد ، سياسة اعادة الاعمار في جنوب الولايات المتحدة الامريكية 1865-1877 ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، (كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، 2022).

الكتب العربية :

خميس ، حيدر شاكر ، جمهورية التفوق الابيض _ الولايات الكونفدرالية الامريكية تكوينها ونشأتها وأيدولوجيتها وبناء نظامها السياسي 1860-1861 ، (بغداد ، 2021).

زيادة ، فرحات و فريحي ، ابراهيم ، تاريخ الشعب الامريكي ، (بيروت ، 1946).

الكتب باللغة الانكليزية :

Ballard, M. B. (1986). *A Long Shadow: Jefferson Davis and the Final Days of the Confederacy*. Georgia .

Bill, A. H. (1946). *The Beleaguered City: Richmond 1861-1865*. New York.

Cooper, W. J. (2000). *Jefferson Davis, American*. New York.

Coulter, E. (1947). *The Confederate States of America, 1861--1865: A History of the South*. New York.

Davis, J. (1881). *Rise and fall of the confederate government*, Vol.2. New York.

Davis, W. C. (2001). *An Honorable Defeat: The Last Days of the Confederate Government* . New York.

Davis, W. C. (2001). *Jefferson Davis*. New York.

Duke, B. W. (1894). *Last days of the confederacy: in Battles and leaders of the civil war*. New York.

Harrison, B. N. (1883). *The capture of Jefferson Davis*. New York.

Katcher, P. (2007). *Civil War Day by Day: The Tragic Clash Between the Union and the Confederacy*. New York.

Lankford, N. (2001). *Richmond Burning: The Last Days of the Confederate Capital*. New York.

Parker, W. H. (1989). *Confederate Military History - The Confederate Navy*. Georgia.

Ryan, D. D. (2001). *Four Days in 1865: The Fall of Richmond*. New York.

Wilson, S. (1955). *The History of United States*. New York.

Wise, J. S. (1899). *The end of an era*. Boston.